الأساليب المستخدمة في تعليم وتعلم اللغة الثانية مقارنة بأساليب تعليم وتعلم القرآن الكريم لدى المجتمعات الصومالية

د.عبد الله عبد القادر محمد

ملخص البحث

مسالة البحث عن أساليب تعليم وتعلم اللغة الثانية مجال خصب يساهم كثيرا في الوقوف على الطرق المثلى للكشف أنماط تعلم اكتساب اللغة الثانية بما فيها العربية. وهذا البحث تحليل نموذجين لأساليب تعلم اللغة الثانية أحدهما لرتشارد فلدر والآخر لربيكا أكسفورد مع التركيز على نموذج رتشارد فلدر ومقارنة ذلك بأساليب تعلم القرآن الكريم للمجتمعات الصومالية في جميع أنحاء قرن إفريقيا سواء في جمهورية الصومال أو في جمهورية جيبوتي أوالصوماليين في شرق إثيوبيا او الصوماليين في شمال شرق كينيا.

يهدف البحث من بين أشياء أخرى :

١- توضيح مفهوم أساليب تعلم اللغة الثانية .

٢- الكشف عن تشابه أساليب تعلم القرآن الكريم بأساليب تعلم اللغة الثانية.

٣- المقارنة بين الطرق التي تتبع في كل من تعلم اللغة الثانية وتعلم القرآن الكريم.

أما أهمية البحث فتتمثل في أنه يفيد مؤسسات وخبراء تعليم اللغة العربية كلغة ثانية ، وأنه قد سيحفز باحثين مهتمين بتعليم العربية كلغة ثانية، والعاملين في مجال تعليم القرآن الكريم في إجراء مزيد من البحوث في الموضوع.

ويتبع البحث المنهج الوصفي التحليلي والمنهج المقارن

أولًا: مدخل:

لم تظهر (أساليب التعلم) كمصطلح إلا في منتصف خمسينيات القرن الماضي. واستخدمت مصطلحات أساليب التعلم و(الأسلوب المعرفي) و(النمط الشخصي) و(المتعلم الحسي) و(الكيفية)، استخدمت بشكل متبادل أو متقارب في بعض الأحيان.١ وقبل استقرار الأمر باستخدام مفهوم (أسلوب التعلم) وظف الباحثون في مجال التعليم عمومًا، وتعليم اللغة الثانية خصوصًا مصطلحات مثل (المتعلم المستقل في المجال أو المعتمد على غيره)، ومثل (المتعلم المندفع أو المتعلم المتأمل) كأوصاف لتفضيلات التعلم لدى المتعلم٢.

واستفاد باحثو تعلم اللغة الثانية من نماذج سيكولوجية متعددة قائمة على نظريات نفسية وضعها علماء النفس. هذه النظريات والنماذج، كانت لها صفة العموم حيث استفاد كل في مجاله، فالإدارة والسياسة والإعلام والتربية، كل انتقى من هذه النظريات والنماذج، ثم طوعها وعدّلها لتناسب مجال اهتمامه. وتوظيف البحث التربوي ومهنة تعليم اللغة الثانية، مصطلحات (أساليب التعلم) و(أنماط التعلم) و(الأسلوب المعرفي) لم تكن استثناء من تلك الإفادات.

ومن أشهر النماذج (نموذج جَارْدَنَر ١٩٨٣م) المعروف بـ(نموذج التعدد الذكائي) ونموذج (مَكَارْثِي ١٩٨٠م) المعروف بالنظام الرباعي الذي هو المتعلم التخيلي، المتعلم التحليلي، المتعلم المنطقي، المتعلم الديناميكي. والنموذج الأول استخدم في تطوير المناهج وإعداد المواد التعليمية، والثاني استفاد منه مدرسو اللغة الثانية. ثم نموذج (كَولْب ١٩٨٤م) ونموذج (دُن ودُن ٢٠٠٢م) الذي يتكون من أنماط خمسة. ومجال تعلم اللغة الثانية انتقى من هذه النظريات والنماذج ما يراه مناسباً لأساليب تعلم اللغة الثانية واكتسابها، حتى يحسن من عملية التعلم.

وفيما يخص بمصادر أساليب التعلم وما لا يقل عن عشرين بعداً لتلك الأساليب، تذهب (مادلين أَهَرمَن وربيكا أكسفورد) بأنه يمكن إرجاع مصادر أبعاد أساليب التعلم إلى ثلاثة مصادر،ورهي:

دراسة الإدراك ونظرية الجشتالت (السيكولوجية).

علم النفس الشخصي.

نظريات كارل جونغ العالم السويسري.٣

ويورد (رِيد وريِنْز) نقلًا عن عدنان يوسف العتوم أن جذور مفهوم الأساليب المعرفية تنحدر من أربعة مصادر في دراسات علم النفس المعرفي ،وهي:

- تطور مفهوم الإدراك حسب نظرية الجشتالت، حيث تنظر إلى إدراك المثيرات بطريقة كلية غير قابلة للتجزئة.
- الطريقة التي يتكيف من خلالها الفرد مع المثيرات البيئية، بواسطة الضبط المعرفي، والعمليّات المعرفية مما يفرض أسلوباً محدداً في التعامل مع مثيرات البيئة المختلفة.
- دراسات مكونات الشخصية، ودرجة الترابط بين هذه المكونات مؤكدة على التوجه، بأن عمليّات التعلم مرتبطة بمكونات الشخصية، مما يعني أن تفاعل هذه المكونات يحدد أسلوب التعامل مع مواقف التعلم الحديث.
- الصور العقلية والذهنية المفضلة لدى الأفراد خلال عمليّات معالجة المعلومات.٤

ثانيًا: مفهوم أساليب التعلم:

يشير المصطلح إلى الأنماط المفضلة، أو الوظائف الذهنية ،والتعامل مع المعلومات الجديدة. ويعرف عدنان يوسف العتوم أسلوب التعلم بأنه يصف عدداً من الأنشطة والخصائص والسلوكيات الفردية، التي تظهر بشكل ثابت لفترة من الزمن. وينقل عدنان يوسف العتوم تعريفاً لميلَر يقول: " إن الأسلوب المعرفي هو عبارة عن نمط الأداء الذي يتميز بالثبات النسبي في تنظيم إدراكات الفرد ".٥

ويورد عبد الحميد حسن عبد الحميد شاهين عدة تعريفات من بينها تعريف (كينسلا): " نمط التعلم يعود لطرق الفرد الطبيعية والمفضلة والعادات في معالجته واسترجاعه للمعلومات الجديدة، والمهارات التي تستمر بغض النظر عن طرق التعلم أو المحتوى ". وأورد كذلك تعريف (اتحاد المدارس الأمريكية) الذي يقول: " نمط التعلم يشير إلى الطرق التي يتعلم بها كل طالب بشكل أفضل". ويعرف (كولب): " أنماط التعلم هي الطريقة المفضلة لدى الفرد، إدراك المعلومات ومعالجتها ".٦

هذه التعريفات متشابهة أو متقاربة وهي لكل تعلم سواء منها الرياضيات والعلوم والجغرافيا والعلوم والآداب. وأقرب تعريفين شاملين مناسبين لأسلوب التعلم تعريفا عدنان يوسف العتوم ،وتعريف ميلر لإشارتهما إلى الثبات النسبي لفترة من الزمن في إدراكات الفرد.

وفي العلاقة بين مصطلحين يستخدمان بشكل متبادل، وهما (أسلوب التعلم) و(أنماط التعلم)، فإنه يفرق بينهما بأن مصطلح (الأسلوب) يصف عدداً من الأنشطة والخصائص والسلوكيات الفردية التي تظهر بشكل ثابت لفترة من الزمن... لا يمكن الفرد أن يتجاهله عند التعامل مع مواقف الحياة المختلفة. وأما النمط فإنه أكثر ارتباطاً بدراسات الشخصية. ويمثل للأنماط الشخصية بالانطواء والانبساط وشخصية النمط (أ) والنمط (ب). ولهذا فالأسلوب أكثر ارتباطاً بدراسات علم النفس المعرفي.٧ وتعلم اللغة الثانية أحد مباحث ذلك العلم.

والفرق بين استراتيجيات التعلم وأساليب التعلم هو " أن الفرد قادر على اختيار الاستراتيجيات الذي تناسبه أو تناسب الموقف وتغيير هذه الاستراتيجيات عند الحاجة حسب الموقف.أما الأساليب المعرفية فهي عكس الاستراتيجيات المعرفية، حيث إن الفرد لا يختار الأسلوب المفضل من بين عدة أساليب، ولا يستطيع تغييره بسهولة حسب الموقف، لأنها ثابتة لفترات زمنية طويلة "٨

ومسألة أسلوب التعليم تشير إلى ما يفضله الفرد أثناء تعلمه اللغة الثانية، وليس لها ارتباط بذكاء المتعلم. ومنطلق أساليب التعلم كان من ملاحظات الفروق الفردية لدى المتعلمين.

ثالثًا: تصنيف نماذج أساليب تعلم اللغة الثانية:

هناك عدد من النظريات والنماذج لأنماط الشخصية ، وأساليب التعلم والأسلوب المعرفي، فاختار بعض علماء تعليم اللغة الثانية أساليب تعلمية من تلك النماذج والنظريات ليهتدي بها الباحثون في مجال اللغة الثانية ومدرسوها. ويختار البحث هنا اختيارين أحدهما لـ(ريتشارد م. فلدر) والآخر لـ(ربيكا أكسفورد). أما ريتشارد فلدر فصاغ اختياره على شكل أسئلة، وهو مكون من خمسة أساليب، كل أسلوب تحته بعدان متقابلان، وهي كالآتي:

١- ما المفضل في كيفية إدراك المعلومة لدى متعلم اللغة الثانية ؟ إدراك المعلومة يتم عن طريق الحس أو عن طريق الحدس.

٢- ما الطريقة المفضلة لإدراك المحسوسات عند متعلم اللغة الثانية ؟

الطريقة المفضلة لإدراك المحسوسات تكون إما بالبصر أو باللفظ.

٣- ما طريقة إجراء المعلومات المفضلة لدى متعلم اللغة الثانية ؟ الطريقة المفضلة في إجراء المعلومة، تتم إما عن طريق النشاط ، وذلك من خلال المشاركة ، أو عن طريق الملاحظة من خلال الاستبطان.

٤- ما طريقة متعلم اللغة الثانية نحو فهم المعلومات؟ يكون فهم المعلومات إما عن طريق تسلسل المعلومات،أو عن طريق الشمول (الكل).

٥- ما الطريقة المفضلة لتنظيم المعلومات؟ ويتم هذا إما عن طريق الاستقراء أو عن طريق الاستنباط.٩

وأما ربيكا أكسفورد فاختارت أربعة أساليب، وتحت كل، عدد من الأبعاد، وهي كالآتي:

١- التفضيلات الحسية، وترجع إلى قنوات إدراك التعلم الحسية، مثل البصر والسمع والحركة واللمس.

٢- الأنماط النفسية، ويأتي تحت هذا الأسلوب أربعة أبعاد ذات ثنائيات:

- التعامل مع الذات والآخرين، وفي هذا إما أن يكون المتعلم انطوائياً أو انبساطياً.
- الإدراك، ويكون إما عن طريق الحدس العشوائي ، أو عن طريق الحس المتسلسل... .

٣- الرغبة في درجة العمومية:

- متعلم شمولي، كلي.
- متعلم تحليلي.

٤- النمط الجسدي (الاختلافات البيولوجية):

- الوقت (عنصر الزمن)، مستوى الطاقة في أوقات مختلفة من اليوم.
- الرغبة في تناول الطعام والشراب، وعدم الرغبة فيهما أثناء القراءة.
- الموقع/ المحل (النمط البيئي)، درجة الحرارة، الصوت، الإضاءة، جودة الكرسي.١٠

المقارنة بين الأساليب التعليمية التي اختارها كل من رتيشارد فلدر وربيكا أكسفورد:

في مقارنة الأساليب التعليمية والأبعاد التي اختاراها، يلاحظ أنهما اتفقا في الآتي:

أسلوب التعلم الرابع عند (ريتشارد فلدر)، هو أسلوب التعليم الثالث عند (ربيكا أكسفورد)، الذي تسميه بأسلوب متعلم اللغة الثانية الشمولي ، ومتعلم اللغة الثانية التحليلي، في حين يسميه ريتشارد فلدر توجه المتعلم نحو فهم المعلومات، ويكون التعلم عن طريق الشمول ،أو عن طريق تسلسل المعلومات.

وما جعله ريتشارد فلدر في الأسلوب التعليمي الأول المسمي تفضيل المتعلم في كيفية إدراك المعلومات يتم إما عن طريق الحس ،أو عن طريق الحدس، هو الأول عند اختيار ربيكا أكسفورد ولكن بالتفضيلات الحسية فقط. وعددت المحسوسات التي سمتها بقنوات إدراك التعلم الحسية، في حين ذكرت الحدس العشوائي والحسي المتسلسل، في الأسلوب الثاني من اختيارها الذي هو (الأنماط النفسية) ، والذي تحته ثلاثة أبعاد أخرى. ثم إن ريتشارد فلدر خصص أسلوباً تعليمًا للتعلم الحسي، جعله إما التعلم عن طريق البصر (متعلم بصري) أو التعلم عن طريق اللفظ مثل المقروء والمكتوب (متعلم لفظي).

ويمكن مقابلة ما سماه ريتشارد فلدر في الأسلوب الثالث بالمتعلم النشط والمتعلم بالملاحظة، بما سمته ربيكا أكسفورد بالمتعلم الانطوائي أو المتعلم المنبسط، تحت أسلوب (الأنماط النفسية).

وافترقا في أن الأسلوب الخامس لريتشارد فلدر الذي هو الطريقة المفضلة لتنظيم المعلومات إما عن طريق الاستقراء أو عن طريق الاستنباط. وهو ما لم تتطرق إليه ربيكا أكسفورد، وهي من جهتها أوردت الأسلوب التعليمي الرابع عندها، وهو النمط الجسدي (الاختلافات البيولوجية) مثل الوقت (عنصر الزمن) الأكل والشرب عند القراءة، والموقع/ المحل (النمط البيئي) مثل درجة الحرارة، الصوت، الضوء، وجودة الكرسي. ويبدو أن هذا النمط الجسدي الذي أدرجته ربيكا أكسفورد في اختيارها لأساليب التعلم أمر لا يرجع إلى أسلوب تعلم في حد ذاته، بل يمكن عده عاملاً مساعداً للتعلم.

رابعا : أبعاد أساليب التعلم وموقف معلم اللغة الثانية :

المتعلم عن طريق الحس يفضل التعلم بالوسائل التعليمية والمعينات المتعددة، لأنه يستخدم حواسه في مواقف التعلم. وعلى المعلم أن يوفر قدر استطاعته أنواع الوسائل التعليمية، لأن لها دورا في الأيضًاح، وهي تعين المعلم في التدريس، والمتعلم في التعلم. والوسائل إما سمعية على أساس مخاطبتها حاسة السمع،أو وسائل بصرية على أساس مخاطبتها حاسة البصر.١١

فالمتعلم البصري يحب القراءة ، والاهتمام بالمثيرات البصرية، وهؤلاء فإن

الحوارات والتوجيهات الشفهية بدون دعم بصري، قد تسبب لهم تشويشاً. وفي المقابل فإن المتعلم السمعي، يمكن أن يتعلم بدون وسائل بصرية، ولهذا فهو يتمتع ويستفيد من المحاضرات والحوارات والتوجيهات الشفهية، ويستمتع بلعب الأدوار المتبادلة في الفصل، وفي بعض الأحيان قد تكون لديه صعوبات في أعمال الكتابة.١٢

وعلى المعلم أن يوازن بين تفضيلات هؤلاء الحسية في الفصل، وأن يكون على دراية بالأسلوب التعليمي المفضل لدى كل.

وأما المتعلم الحدسي هو الذي يقابل المتعلم الحسي. والحدس هو "الوصول إلى نتائج دون مقدمات أو استدلالات منطقية سابقة للنتيجة". أو هو "القدرة التي تمكن الفرد من الوصول إلى تخمينات صحيحة دون أن يعرف كيف وصل إليها".١٣

ويقارن (ريتشارد فلدر) بين المتعلم الحسي والمتعلم الحدسي، بأن الحسيين يميلون إلى الملموسات والمنهجية، والحدسيون تجريديون متخيلون، ويفضل الحسيون الحقائق والبيانات والتجريب، والحدسيون يفضلون المبادئ والمفاهيم والنظريات، والحسيون صابرون مع التفاصيل ولكنهم لا يحبون التعقيد، والحسيون يميلون إلى الحفظ كاستراتيجية تعلم، ويتبعون الأنظمة والمعايير الإجرائية أكثر من الحدسيين الذين يفضلون التنوع ويكرهون التكرار. الحسيون حذرين في استخدامهم للغة، وكأنهم بطيئون في حين الحدسيون سريعون ولكنهم غير مبالين.١٤

وإذا كانت تلك تفضيلاتهم التعلمية، فإنه يقترح للمعلم أن يوفر تنوعًا وخيارات كثيرة في دروسه في الفصل، مثلاً أن يقدم المعلم في بعض الأحيان نشاطاً تعليميًا عاليا للمتعلم الحسي أو الحسي المتسلسل، وفي أحايين أخرى ينبغي تقديم خيارات متعددة وأنشطة إغنائية للمتعلمين الحدسيين العشوائيين.١٥

وأما المتعلم التتابعي/التسلسلي/ التحليلي، والمتعلم الشمولي/الكلي/ العالمي

فالأول هو الذي يستوعب المعلومات عن طريق جرعات صغيرة لفهم المواد. ويميل إلى استراتيجيات تحليل الكلمات والجمل إلى مكوناتها الصغيرة، ونوعية هؤلاء يميلون إلى التركيز على قواعد اللغة، ويتحاشون في بعض الأحيان الأنشطة الاتصالية الحرة، لأنهم يهتمون بالدقة. والمتعلم التحليلي لا يجازف في التخمين من السياق حتى لا يقع في خطأ. ومن جهة أخرى فإن المتعلم الشمولي، يهتم بالمعنى العام، والنتائج الشمولية، ويفضلون التفاعل الاجتماعي، ويشعرون بحرية للتخمين من السياق.

ولمعالجة هذا الوضع، فعلى المعلم أن يدرب المتعلم الشمولي على العمل والإنجاز في أشياء خاصة. وعلى المتعلم الانطوائي أن يعمل أنشطة فيها عموم مثل التحدث والكتابة.١٦

ويذهب بعض الباحثين إلى أن هذا البعد التحليلي/ العالمي، ترجع إليه جميع الأساليب المعرفية.١٧

وأما ما يتعلق بالمتعلم الاندفاعي والمتعلم التأملي، فإن الطالب المندفع يعمل بنسق سريع، ويكون أكثر عرضة لارتكاب أخطاء كثيرة. وفي المقابل يعمل الطالب المتأمل أو المتروي بهدوء ويرتكب أخطاء قليلة.١٨ وقريب من هذا، المتعلم المستعجل والمتعلم المتباطئ، فإن الأول يكمل المهام بسرعة، ويعمل بجد، ويحب المعلومات، ويستمتع بالمهمات التي لها مواعيد محددة، ولكن هذا الاستعجال قد يكون على حساب طلاقته في اللغة. والمتعلم المتباطئ يأخذ اللغة وكأنها لعبة يتمتع بها، أكثر منها مجموعات مهمات ينبغي إنجازها وهو في حاجة إلى وقت أكثر. والمعلم الخبير يعالج هذا التفاوت بالتعلم التعاوني إذ أن كلا المجموعتين يتعلمون بعضهم عن بعض. ١٩

وفي كبح جماع المتعلم الاندفاعي ، ورفع مستوى مشاركة المتعلم التأملي، فإنه يقترح أن تشمل فصول التعلم أنشطة وخبرات متعددة، وإجراء حوارات ومناقشات، وأداء المسرحية الصغيرة، ومسابقات الفرق، والخبرات التأملية، مثل تدريبات الكتابة القصيرة، وتدريبات تكوين الأسئلة. وأنشطة المجموعات الصغيرة للتعلم التعاوني مفيدة لكلا المجموعتين. ومن الاستراتيجيات إثارة أسئلة مثل: ترجم هذه الجملة، كم مرادفاً لكلمة (أمين) يمكن أن تفكر فيها في نصف دقيقة. ٢٠

وأما ما يتعلق بالنمط الجسدي فعلى المعلم أن يراعي درجة الصوت بحيث لا تزعج المتعلمين، أو ألّا يكون صوته خافتًا لا يسمعه بعض الطلبة. وينبغي أن تكون درجة الحرارة في موقع التعلم مناسبة، فبعض المتعلمين يفضلون البرودة وبعضهم يفضلون الحرارة. وفيما يتعلق بإضاءة موقع التعلم، وهدوئه، وجودة الكراسي هل هي صلبة أم لينة، طويلة أو قصيرة، وتصميم غرفة التعلم مثل كيفية جلوس المتعلمين هل سيكون على شكل دائري أو مستطيل، حيث يواجه المتعلمون بعضهم بعضاً، ومكان وقوف المتعلم، أو جلوسه، كل

هذه الأشياء ينبغي على المعلم أن يقدرها ، ويتعامل معها بأسلوب حكيم.

خامسا : تعلم القرآن الكريم والمجتمعات الصومالية :

إن فضل القرآن الكريم وفضل حامليه وفضل متعلميه وردت به آيات قرآنية كثيرة وأحاديث نبوية شريفة عديدة ؛ ففي القرآن الكريم يقول الله تعالى في سورة الزخرف ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ وَسَوۡفَ تُسۡـَٔلُونَ ٤٤ ﴾ وقوله تعالى في سورة الإسراء ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَبِيرٗا ٩ ﴾ ، وقوله تعالى في سورة البقرة ﴿ الٓمٓ ١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ٢ ﴾

قول الرسول الله صلى الله عليه وسلم: (خيركم من تعلم القرآن وعلمه). ٢١

واجتهد الجيل الأول من الصحابة ومن بعدهم من التابعين بالاهتمام بالقرآن حفظاً وتدريساً وتعليماً، وكان القرآن الكريم أول شئ يبدأ به الناشئة من أطفال المسلمين في تعلمهم في جميع عصور التاريخ الإسلامي

مفهوم الخلوة : ٢٢

الخلوة أو باللغة الصومالية (دكسي) هي كما يعرفها أحمد شيخ حسن أحمد قطبي : "كلمة صومالية تعني من حيث الدلالة المكان الدافئ أو الكنُ الذي يحمي به الإنسان نفسه من البرد والحر، ومن حيث الاصطلاح المكان المعد لتعليم القرآن الكريم وتحفيظه وما يتطلبه من قراءة وكتابة بالإضافة إلى المبادئ الإسلامية الأساسية في التوحيد والطهارة والصلاة والصيام.٢٣

هذا التعريف الاصطلاحي لقطبي مختلف فيه، لأن الدكسي عند الصوماليين هو المكان المعدُ لتعليم القرآن الكريم فقط ولا يدخل فيه تعليم مبادئ الاسلام أو أي شئ آخر، ويكون تعريف محمد علي عبد الكريم، أدق إذ يعرف (دكسي) بأنه"يتم تعليم القراة والكتابة ويطلق عليه التعليم في الدكس أي- الكتاب- وهذا النوع من التعليم لا يقدم عادة للطفل أي نوع من التعليم إلا تعليم القرآن الكريم وتحفيظه إياه".٢٤ في خلال سنتين أو أكثر بقليل ممن تتراوح أعمارهم ٦ إلى ١٤ سنة غالبا.

أما ما يتعلق بتاريخ نشأة الخلوة ، فليس هناك تاريخ محدد إلا أن الأمر الذي تذهب إليه كل الآراء في موضوع (الكتاتيب) (الدكسي)، الروضة القرآنية، هي أنها متشابهة أو واحدة في المجتمعات الإسلامية غير الناطقة بالعربية. وفي ما يتعلق ببداية الخلاوي في الربوع الصومالية يقول، محمد حسين معلم، والحقيقة أنه ليست هناك فترة زمنية محددة تفسر نشأة الدكسي في البلاد إلا أنه من المؤكد أن هذا النظام أول ما نشأ قام على أكتاف المهاجرين المسلمين عبر الهجرات الإسلامية والعربية والذين وصلوا إلى الصومال في فترة مبكرة حتى صار (الدكسي) من أهم معالم التعليم الاسلامي في البلاد،٢٥. ومنطقة شمال شرق كينيا داخلة في ذلك التعميم الذي يشمل كل المجتمعات الصومالية. ويذهب آدم شيخ صالح إلى"إن تاريخ الكتاتيب في كينيا (وفي كينيا صوماليون) خاصة وفي شرق إفريقيا عامة ترجع إلى زمن دخول الإسلام إلى هذه المنطقة، وقد مرت بمراحل مختلفة من القوة والضعف حسب حالة المسلمين في ذلك القطر وفي تلك الحقبة، ولم تتوقف عن عطائها يوماً من الايام."٢٦

ومع ربط ظهور الكتاتيب والخلاوي بمجئ الإسلام إلى المنطقة وفي كل منطقة في العالم وصل إليه الإسلام- فإن هناك روايات شفهية تقول أن صومله التهجي باللغة العربية تمت قبل ألف سنة بيد الشيخ يوسف الكونين مما يؤكد أن (الدكسي) كان معروفاً في المنطقة قبل ذلك العالم.٢٧ ويستشف من هذا الكلام أن هناك فترة سبقت فترة صومله التهجي باللغة العربية ، وهي إذا أخذنا بالنظرية القائلة بأن الإسلام وصل إلي الصومال في القرن الأول الهجري، وهذا يعني أن سكان المنطقة كانوا يستخدمون التهجي العربي في تعليم القراءة والكتابة قبل أن تشتد الحاجة إلى صومله التهجي.

أما أهمية الخلوة أو الدكسي فتكمن في أنها مؤسسة تعليمية اجتماعية قصد منها " تعليم الأطفال القراءة والكتابة بجانب تحفيظهم للقرآن وتعويدهم على أداء الواجبات والفروض".٢٨.

وهو أول تعليم يفتتح به الطفل في ربوع الصومال، فيتعلم كيف ترسم الحروف وكيف تنطق على الطريقة الجزئية التقليدية حتى يصل إلى مستوى كتابة كلمة أو جملة عربية تملى عليه بدون أن يفهم معناها، وفي أقل من شهرين أو ثلاثة أشهر يستطيع التلميذ قراءة كل شئ مكتوب بالحرف العربي بدون أن يستوعب معناه.

فالخلوة بالنسبة للصوماليين أول شئ يفتتح به الطفل الصومالي التعليم المبرمج لاعتقاد الآباء بأن للقرآن الكريم أثراً في فكر الطالب وحياته المستقبلية، يقول حسن شيخ عمر " فإن المتخرج من الخلوة يتمتع بمكانة اجتماعية بين الناس... وكان هناك اعتقاد سائد لدى الناس مفاده أن الطفل إذا أتقن القران الكريم حفظاً وتلاوة فإنه يسهل عليه بعد ذلك كل شئ يريد تعلمه".٢٩.

بجانب تثقيف الطفل وتقديمه إلى القرآن الكريم قبل أي شئ آخر، فإن الخلوة كانت بمثابة مرحلة الروضة والابتدائية التي تمهد الطفل للخروج إلى الحياة وبناء المجتمع والعطاء.

وطريقة تدريس الدكسي تراعي الفروق الفردية للتلاميذ إذ ليس هناك تلميذان يدرسان درساً واحداً. وفي هذا يصور محمد علي عبد الكريم قدرة المعلم الصومالي في قوله :"بل قد تكون دروسهم موزعة على جميع أجزاء القرآن الكريم، وعلى جميع سوره، وكل واحد منهم يصيح ويرفع صوته في طلب الإملاء ليسمع المعلم صوته... والمعلم القدير يملي على كل واحد منهم درسه، ويرد عليهم جميعاً كل على حدة، ولا يتخبط في شئ من ذلك ولا يخطئ أبداً."٣٠ وما ذلك إلا قوة حفظه ،وبعد الانتهاء من كتابة الدرس يبدأ التلاميذ حفظ ما كتبوه عن ظهر قلب، ثم يستمع المعلم منهم واحداً تلو الآخر. وهناك طرق متعددة لتثبيت القرآن الذي سبق حفظه وذلك بكتابة بعض السور بألواح أخرى غير التي كتب بها الدرس الجديد، وهذه أيضا تخضع لإشراف المعلم، ولكن التلميذ ليس بملزم أن يسمع المعلم ما كتبه. والقصد منها تعزيز حفظ التلميذ.

سادسا: أساليب تعلم اللغة الثانية مقارنة بأساليب تعلم القرآن الكريم:

حفظة القرآن الكريم مروا بتجربة فريدة امتدت لثلاث سنوات غالبًا. وفي تلك الفترة منهم من حفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب، ومنهم من حفظ نصفه، أو ثلثه، أو ربعه، وهكذا. وهي تجربة فريدة تستحق التأمل والدراسة. وينبغي أثناء دراسة هذه التجربة النظر إلى عدة جوانب مثل الطريقة، والأساليب التي استخدمها محفظ القرآن، والعلاقة بين حفظة القرآن ومعلمهم، وعلاقة حفظة القرآن الكريم بعضهم ببعض.

وفي مجال تعليم وتعلم اللغات الثانية أساليب تعليمية، ويتساءل ما حظ حفظة القرن الكريم من هذه الأساليب، أثناء حفظهم للقرآن الكريم.

يمكن القول أن حفظة القرآن مَرُّوًا بوضع شَبِيْه بمعظم أساليب التعلم التي تحدث عنها خبراء تعليم اللغة الثانية. وإذا بدأنا بالأساليب التعليمية التي اختارها (ريتشارد فلدر) فإن حفظة القرآن الكريم في إدراكهم المعلومات، استخدموا الأسلوب الحسي حيث يستمعون إلى المعلم وهو يملي عليهم، ثم يكتبون ما أملى عليهم على ألواحهم، فالسمع والبصر تعاونا في التعلم في هذا الموقف. وأما الحدس فإن ريتشارد فلدر يقول إن من خصائص الحدس الحفظ، وحفظة القرآن يحفظون الدرس الذي كتبوه بعد تكرار وتأمُّل، لأن حفظ القرآن لا يشبه حفظ قطعة أدبية أو نصٍّ آخر، حيث يمكن للحافظ أن يخطئ في بعض الأشياء اليسيرة ويتسامح معه، ولكن حفظ القرآن فيه من الدقة والضبط، ما ينفي صفة الحفظ من أخطأ في حروفه وحركاته. وبهذا فإن أرقى أنواع التأمل هو أن يحفظ المتعلم القرآن كله، أو نصفه أو ثلثه أو ربعه أو حتى سدسه بدون خطأ. فالتأمل إذن حادث هنا.

وأما الأسلوب الثاني الذي هو إدراك المحسوسات، والتي جعلها ريتشارد فلدر بصرية ولفظية، فإن حفظة القرآن يرون المكتوب أمامهم، والكتابة خطوط ورسوم يشهدها حافظ القرآن ولمدة أيام، ويراجعون المكتوب حتى يتم الحفظ. وأما اللفظي، فإن حفظة القرآن يلفظون بألفاظ القرآن وينطقون بها، وهو أمر مشاهد. وهذا الأسلوب التعليمي معمول به كثيرًا عند حفظ القرآن.

وأما الأسلوب الثالث الذي هو إجراء المعلومات، والذي تحته التعلم عن طريق التسلسل، وهو التعلم بصورة متدرجة وبجرعات قليلة، أو الطريقة الشمولية، فإن حفظة القرآن، كان بعضم يفضل حفظ النص القرآن المطلوب منه بصورة متدرجة، وذلك بحفظ ثلاثة أسطر في لوحه، أو آية أو اثنتين، إن كانت من الآيات القصار، ثم ربط حفظ الجديد بالحفظ الذي تم قبل دقائق، وهكذا حتى يكمل حفظ الدرس اليومي ثم يَعرِضَه على المعلم. وهناك الحافظ الشمولي، الذي كان يحاول أن يقرأ الدرس كله لثلاث، أو أربع مرات ثم محاولة استظهار الدرس كله، وهذه طريقته حتى لو لم يثبت الحفظ التام، فإنه يقرأ مرة أو مرتين الدرس كله ليثبت حفظه، ولا يتبع الطريقة التسلسلية. وفي كثير من الأحيان يحاول أصحاب هذا

الأسلوب، عرض القرآن على المعلم قبل غيرهم، ليتفرقوا لعمل شيء آخر. وكان المعلم في بعض الأحيان يرد هؤلاء الحفظة، ويأمرهم بتثبيت حفظهم لأن فيه أخطاء، لهذا فهو أسلوب تعليمي معروف عند حفظة القرآن.

وأما الأسلوب الأخير المتعلق بتنظيم المعلومات الذي هو الاستنباط أو الاستقراء فإنه لم يكن مناسباً لطبيعة حفظ القرآن الكريم. ولأن هذا الأسلوب يصلح لتعلم القواعد والصرف في تعلم اللغة الثانية .

وأما الأساليب التعليمية التي اختارتها ربيكا أكسفورد، التي هي التفضيلات الحسية، فهي تتوافر جميعاً لدى الحفظة، فنظام الخلوة يستخدم البصر والسمع. ولهذا فإن هناك توازناً ؛ فالحفظة الذين يفضلون البصر أمامهم المكتوب المرسوم، وأما الذين يفضلون الاستماع فقد استمعوا للمعلم وهو يملي عليهم، وبعض الحفظة يقرأ المعلم لهم ما كتبوه للتأكد من صحة المكتوب.

وأما أسلوب التعلم الثاني لربيكا أكسفورد فهو الأنماط النفسية:

التعامل مع الذات والآخرين: المتعلم الانطوائي أو المتعلم المنبسط. المتعلم الانطوائي يجد حقه في نظام الخلاوى حيث يحفظ درسه الخاص به ويراجعه، ويكتب القرآن الذي حفظه، وهو أمر خاص به، ولكنه في الوقت نفسه عليه أن يشارك في (السبع) الذي يشترك فيه جميع الحفظة، وكذلك التلاوة الجماعية حيث يقرأ الجميع معاً أجزاء من القرآن الكريم يحددها المعلم. فالمشاركة والتنافس مع الأقران أمر موجود في الخلاوى. والمتعلم المنبسط يحب الأنشطة الأخيرة التي فيها المشاركة، ولكن عليه أن ينعزل في بعض الأحيان ليثبت حفظه، ويهتم بدرسه الخاص. والخلاوى القرآنية توازن بين أنشطة هذين النمطين من المتعلمين.

الإدراك: الحدس العشوائي والحسي المتسلسل فقد سبق أن ذكرناه في وجوده في الخلاوى. وأما الأسلوب التعليمي الثالث الذي هو المتعلم التحليلي أو المتعلم الشمولي فقد سبق أن ناقشناه.

وهناك الأسلوب التعلمي الرابع الذي هو النمط الجسدي (الاختلافات البيولوجية)، فإن هذا النمط يُراعَى ويُطبّق في خلاوى حفظ القرآن الكريم، فعنصر الزمن مثلاً هناك أوقات لإملاء الدرس وحفظه، وهو بعد الشروق، وأما قبل الشروق فهو لمراجعة درس الأمس، لأن الدوام يبدأ مع الفجر، وبعد كتابة الدرس الجديد وحفظه، يذهب الأولاد للفطور ثم يرجعون للمراجعات أي مراجعة الدروس السابقة إما قراءة أو كتابة. ومع الظهيرة يجبر الطلاب على الاستراحة والقيلولة، ثم يذهبون لتناول الغداء، ثم يجلسون لمراجعة درس الصباح. ومن العصر إلى المغرب استراحة، وبعض الطلاب ينجزون بعض الأشياء الخاصة بهم، وفيها حرية للطالب. وبعد المغرب توقد النار للاستضاءة بها لقراءة ومراجعة درس الصباح. وبعد العشاء (السُّبَع) لمدة ساعة. وينتهي الدوام مع التاسعة ليلاً قبلها أو بعدها بقليل.

وأما الموقع فإنه ينبغي أن يكون دافئاً يحمي الأولاد من البرد والرياح، وأن يكون بعيداً عن الضوضاء، ولهذا فالخلاوى في القرى منفصلة من سكن الناس حتى لا ينشغل الطلاب. وتوقد النار الكبيرة في الليل وفي الفجر، ولمدة ساعتين حتى تضيئ للجميع. وتوفير الحطب وإيقاد النار وإطفاؤها من مسؤوليات الطلاب.

وإذا نزلت أمطار أو هبت رياح شديدة، فإن المعلم يرسل الأولاد إلى بيوتهم. والأرض التي يجلس عليها التلاميذ يجب أن تكون لينة لا يمل الطلاب من الجلوس عليها. ويمكن القول بأن هذا العنصر يُرَاعَى جيدًا في الخلاوى، وذلك لأن عمر الأولاد يتطلب هذه الحماية.

وفي التأكيد على هذا، يورد البحث كلمات يوسف الخليفة أبوبكر في الدفاع عن الخلوة بقوله: " يظن كثير من الناس أن النظام التربوي الذي تقوم عليه الخلوة والطريقة المتبعة...لا تستند إلى نظرية نفسية أو تربوية، ولكن الواقع خلاف ذلك. هي في الواقع حصيلة تجارب وملاحظات ودراسات نفسية وعقلية وتربوية، قدمها المسلمون الأوائل، ودوّنُوها في كتبهم وألّفُوا فيها كتباً قَيِّمَة، تناولت الأسس النفسية والعقلية في عمليات التعلم والتعليم، والعوامل المؤثرة فيه، وتناولوا بالنقد والتحليل طريقة تعليم القرآن، التي كانت سائدة آنذاك، ووجهوها الوجهة التربوية السليمة".٣١

الهوامش:

١ – M. E. Ehrman، B.L.Leaver، R.L.Oxford. A Brief Overview of Individual Differences in Second Language Learning، ص٢

٢- المرجع السابق ص٢

٣ – Madeline Ehrman &Rebecca Oxford، Adult Language Learning Styles and Strategies in an Intensive Training Setting ص٢

٤- المرجع السابق ص١

٥- عدنان يوسف العتوم، علم النفس المعرفي بين النظرية والتطبيق، ص٢٨٥-٢٨٦

٦- عبد الحميد حسن عبد الحميد شاهين، استراتيجيات التدريس المتقدمة، ص ٨٣

٧- عدنان يوسف العتوم- علم النفس التربوي بين النظرية والتطبيق، مرجع سابق، ص٢٨٥،

٨- المرجع سابق، ص٢٨٨

٩ – R.M.Felder &E.R.Henriques، Learning and Teaching Styles in Foreign and second Language Education، ص ٢

١٠ – Rebecca L. Oxford ،Language learning Styles and strategies : An Overview، ص ٣

١١- محسن علي عطية ، وعبد الرحمن الهاشمي، التربية العملية وتطبيقاتها في إعداد معلم المستقبل، ص١٠٦

١٢ – Rebecca L. Oxford ،Language learning Styles and strategies : مرجع سابق ص ٣-٤

١٣- نبيل عبد الهادي، نماذج تربوية تعليمية معاصرة، ص١١٩-١٢٠

١٤ – R.M.Felder &E.R.Henriques، Learning and Teaching Styles in Foreign and second Language Education، مرجع سابق ص ٢

١٥ – Rebecca L. Oxford ،Language learning Styles and strategies : An Overview، مرجع سابق ص ٥

١٦ – Rebecca L. Oxford ،Language learning Styles and strategies : An Overview مرجع سابق ص ٥-٦ R.M.Felder &E.R.Henriques، Learning and Teaching Styles in Foreign and second Language Education، مرجع سابق ص ٥

١٧ – R.M.Felder & E.R.Henriques، Learning and Teaching Styles in Foreign and second Language Education، مرجع سابق ص٥

١٨- محمد عبد الله البيلي، عبد القادر عبد الله قاسم ، وأحمد عبد المجيد الهادي ،علم النفس التربوي وتطبيقاته ، ص١٦٠

١٩ – Rebecca L. Oxford ،Language learning Styles and strategies : An Overview، مرجع سابق ٦

٢٠ – R.M.Felder &E.R.Henriques، Learning and Teaching Styles in Foreign and second Language Education، مرجع سابق ٥

٢١- صحيح البخاري ، محمد بن اسماعيل بن إبراهيم البخاري ، كتاب فضائل القرآن ، باب ٢١.

٢٢- يرجع بالتفصيل عمر محمد ورسمة "خلوة القرآن ودورها في صيغة المجتمع الصومالي" ، شبكة الشاهد www.alshahid.org

٢٣- احمد شيخ حسن أحمد قطبي، طرق تدريس القرآن الكريم واللغة العربية والعلوم الإسلامية واللغة العربية في الصومال،ص٦٥،

٢٤- محمد علي عبد الكريم وآخرون، تاريخ التعليم في الصومال، ص١١-١٢

٢٥- محمد حسين معلم، الثقافة العربية وروادها في الصومال، ص ٢٣٠

٢٦- أدم شيخ علي صالح، المؤسسات التعليمية الإسلامية في كينيا ودورها في الدعوة إلى الله، ، ١٤٢٨هـ ص٢٢١

٢٧- ١ أحمد شيخ حسن أحمد قطبي ، مرجع سابق، ص٦٥

٢٨- حسين شيخ عمر ، مرجع سابق، ص ٩٨

٢٩- حسن شيخ عمر، مرجع سابق، ص٩٩. ،عبد الله احمد سعيد: أثر حفظ القران في نشر اللغة العربية ص٥٦-٥٧

٣٠- محمد علي عبد الكريم وآخرون ، مرجع سابق، ص١٥-١٦

٣١- يوسف الخليفة أبو بكر، مقالات في القرآن الكريم والخلوة والقراءات، ص٢٢٣

المراجع العربية :

١- أحمد شيخ حسن أحمد قطبي، طرق تدريس القرآن الكريم واللغة العربية والعلوم الإسلامية واللغة العربية في الصومال، رسالة دكتوراة في التربية غير منشورة، جامعة أم درمان الإسلامية، ٢٠٠٠

٢- آدم شيخ علي صالح، المؤسسات التعليمية الإسلامية في كينيا ودورها في الدعوة إلى الله، رسالة ماجستير من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، غير منشورة، ١٤٢٨هـ

٣- حسن شيخ عمر: الإدارة التربوية في المدارس العربية الأهلية في ولاية شمال شرق كينيا (الصعوبات، والحلول، دراسة تقويمية) رسالة دكتوراة غير منشورة في الإدارة التربوية والتخطيط، جامعة أم درمان الإسلامية، معهد بحوث ودراسات العالم الإسلامي المعاصر، ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م

٤ - عبد الحميد حسن عبد الحميد شاهين: استراتيجيات التدريس المتقدمة واستراتيجيات التعلم وأنماط التعلم، مناهج وطرق تدريس ، كلية التربية بدمنهور جامعة الأسكندرية، ٢٠١٠-٢٠١١.. net.www.educa٢٤،

٥- عبد الله أحمد سعيد: أثر حفظ القرآن في نشر اللغة العربية في مجلة الدراسات الإفريقية العدد ٢٦، جامعة إفريقيا العالمية ٢٠١٠م

٦- عدنان يوسف العتوم، علم النفس المعرفي بين النظرية والتطبيق، دار المسيرة، ط١، عمان، الأردن، ٢٠٠٤م- ١٤٢٥هـ

٧- عمر محمد ورسمة، خلوة القرآن ودورها في صيغة المجتمع الصومالي،شبكة الشاهد www.alshahid.org

٨- محسن علي عطية ، وعبد الرحمن الهاشمي، التربية العملية وتطبيقاتها في إعداد معلم المستقبل، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م،

٩- محمد بن إسماعيل إبراهيم البخاري ، صحيح البخاري : كتاب فضائل القرآن باب ٢١، مصدر وزارة الأوقاف المصرية. http:www.islamic-council.com

١٠- محمد حسين معلم، الثقافة العربية وروادها في الصومال، دراسة تاريخية حضارية، ط١، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤٣٢ه – ٢٠١١م،

١١- محمد عبد الله البيلي، عبد القادر عبد الله قاسم ، وأحمد عبد المجيد الهادي ،علم النفس التربوي وتطبيقاته، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، الكويت،

١٢- محمد علي عبد الكريم وآخرون، تاريخ التعليم في الصومال، منشورات وزارة التربية والتعليم، مقديشو، ١٩٧٨م

١٣- نبيل عبد الهادي، نماذج تربوية تعليمية معاصرة، دار وائل لطباعة والنشر، ط١، ٢٠٠٠م،

١٤- يوسف الخليفة أبو بكر، مقالات في القرآن الكريم والخلوة والقراءات، دار جامعة إفريقيا العالمية للطباعة، الخرطوم، رمضان، (١٤٣١هـ- اغسطس ٢٠١٠م)

المراجع الإنجليزية:

١٥ – M. E. Ehrman، B.L.Leaver، R.L.Oxford. A Brief Overview of Individual Differences in Second Language Learning، in System ٢٠٠٣) ٣١) www.elsevier.com/locate/system

١٦ – Madeline Ehrman &Rebecca Oxford، Adult Language Learning Styles and Strategies in an Intensive Training Setting ،In Modern Language Journal ، vol.٧٤،No.٣

١٧ – R.M.Felder &E.R.Henriques، Learning and Teaching Styles in Foreign and second Language Education، Foreign Language Annals، ٢٨، No.١٩٩٥ ،١

١٨ – Rebecca L. Oxford، Language learning Styles and strategies: An Overview، in Language Styles and Strategies، Oxford، GALA ٢٠٠٣